المؤسسات الدينية و الثقافية :

1 المساجد :

تعريف المسجد :

لغة : لفظ مأخود من الفعل سجد ومعناه اللغوي هو مكان الخضوع و النذلل لله ، ولقد كان فعل السجود معهودا عند الأمم القديمة أمام عظمائها وعلمائها ، وأقرت الشريعة الإسلامية هذا السجود ولكن جعلته لله وحده لا غير[1] .

اصطلاحا: هو المكان المعد للصلاة ، وهو كل مكان يتعبد فيه أي أن كل موضع من الأرض هو مسجد لقوله صلى الله عليه وسلم " **جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**" فالمسجد هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم من جهة، ولتعلم كل ما من شأنه أن ينظم وييسر حياتهم .[2]

1-1 تسمية المساجد :

اشتهرت خلال العهد العثماني تسميات متعددة للمساجد فبعضها يرجع إلى التوزيع الحرفي المنتشر في المنطقة أو إلى أسماء الحرفيين الذين يرتادونها مثل مسجد الشماعين و الخياطين و الحلفاويين و الكبابطية ...الخ ، والبعض الآخر وهو الغالب و الأكثر انتشارا الذي يرجع إلى أسماء أشخاص إما يكونون من مؤسسي هذه المساجد كعلي بتشين وعبد الله صفر ، أو رجال صالحين كسيدي عبد الله أو سيدي محمد الشريف ، وقد ينسب في بعض الأحيان إلى إسم المجدد وتارة تكون تسمية المسجد حسب موقعه المتميز كمسجد البراني الذي يقع خارج حصن القصبة ومسجد كتشاوة نسبة إلى هضبة هناك .[3]

1-2 العناصر المكونة للمساجد :

[1]- طبارة عفيف : روح الصلاة في الإسلام ، ط8 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1978 ، ص 218
[2]- المرجع نفسه ، ص 218
[3]-مصطفى ابن حموش : مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 ، ص 127

- **بيت الصلاة:** ويسمى أيضا حيز الصلاة أو الظلة أو الرواق ووظيفته أنه مكان الصلاة في المسجد ، حيث يقف الناس في استواء تام في صفوف بمحاذاة القبلة ، وهناك عدة أشكال لبيت الصلاة فقد يكون مستطيلا أو شبه منحرف أو دائرة .
- **الصحن :** وهي المساحة المكشوفة من المسجد وتتصل بحرمه وأروقته وجدرانه الخارجية وفي كثير من المساجد يضم الصحن مصادر للمياه يتوضأ منها الناس وتزرع فيه الأشجار أحيانا ، ويستفاد منه في استعاب المصلين إذا زادوا عن طاقة المسجد [4]
- **القبلة :**هي مصدر المسجد وجداره الموجه نحو الكعبة فإذا صلى الناس اتجاهها
- **المحراب :** وهو صدر البيت وسمي كذلك لانفراد الإمام فيه
- **المنبر:** سمي منبرا لارتفاعه وعلوه ، يصنع من الخشب
- **المآذن :** وهي البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن دخول وقت الصلاة [5]

1-3 الفرق بين المسجد و الجامع :

الجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد ففيه تؤدى الصلوات الجامعة و الجمعة و الأعياد إضافة إلى الصلوات الخمس ، وقد يسمى المسجد الجامع ، وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالمسجد الكبير أو المسجد الأعظم ، ويذكر بعض الباحثين المساجد فقط ثم يفصلون كبيرها من صغيرها وماله صومعة وما ليس له صومعة عالية ومالع قبة أو نحوها [6]

1-4 وظيفة المسجد ودوره :

تتمثل وظيفتها الأساسية قيام المسلمين بأداء الصلوات فيها وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الاسلامية ، وتعريف شؤون الناس وعلاج مشاكلهم و حل قضايهم اليومية [7]

1-5 نماذج عن بعض الجوامع و المساجد في الجزائر في العهد العثماني :

[4]-فضيلة بن عامر : المساجد ودورها التعليمي و الثقافي في الجزائر في الفترة الحديثة ، جامعة مليانة ، 2018-2019، ص9-10 -
[5]-المرجع نفسه ، ص 10-11- -
[6]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 245
[7]- سعاد فويال : المساجد الأثرية لمدينة الجزائر ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2010 ، ص84

- **جامع كتشاوة :** هناك عدة دلائل واقعية تثبث وجود الجامع في حي كتشاوة ، ويرجع أقدم دليل إلى سنة 1021هـ/1621م وقد أعاد الباشا حسن سنة 1209هـ /1794م بناء هذا المسجد ، حيث تم توسيعه لكن المنشأة قد هدمت من أجل إقامة كاتدرائية ، حيث بدأت التعديلات لتحويله إل كنيسة وما نراه اليوم في مسجد كتشاوة إلا مظهر بعيد كل البعد عن البناية التركية القديمة ولكنه مع ذلك أجمل مسجد بالمدينة وبقاء القبة المركزية في مكانها الحالي يبين انتماء هذا المعمار إلى الفن التركي الموجود في اسطنبول[8] .

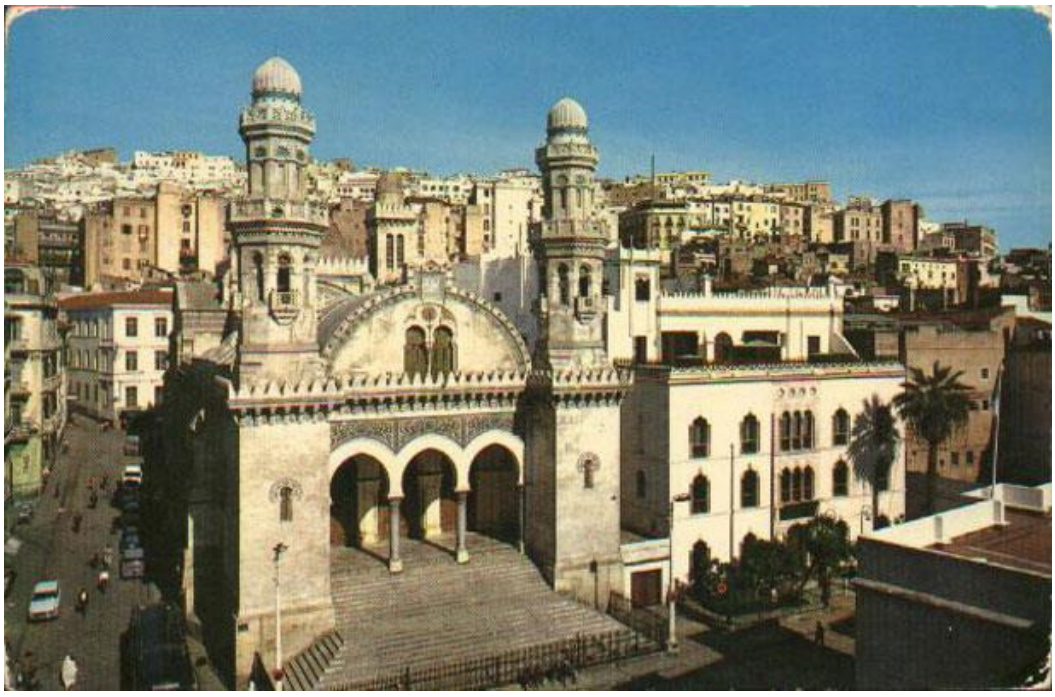

- **الجامع الكبير – قسنطينة**-: وهو موجود ببطحة السويقة بشارع بن مهيدي حاليا ، هو أقدم مساجد المدينة ويذكر أنه بني في عهد يحي الأمير الحمادي الأخير ، يتميز منبر الجامع الكبير المصنوع من الخشب الذي يقع على يمين المحراب والمتكون من 7 درجات له باب مزين بقوس مزينة هي الأخرى بزخارف نباتية وفي مؤخرة المنبر نجد مسند على شكل قوس نصف دائري عليه كتابتين بالخط الكوفي ، كما يحتوي الجامع على تسع نوافد وأربعة أبواب خشبية .

[8]- المرجع نفسه ،ص 72-76

ومن العلماء الذين سبق لهم التدريس في هذا الجامع الشيخ المكي البوطالبي ، الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي ، الشيخ عبد القادر المجاوي[9].

-**جامع سيدي الكتاني – قسنطينة**-:يقع جامع سيدي الكتاني بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القصبة ، بجوار سوق الجمعة ويعرف حاليا بسوق العصر ، يتميز هذا الجامع بشكله المستطيل ويتكون من طابقين يظهر من واجهاته الثلاث وهي الشرقية و الغربية و الجنوبية ، يقع بيت الصلاة في الطابق العلوي يحتوي المنبر على كتابة نقشت على لوحة رخامية وهي تعلو مدخل المنبر الرخامي الذي وضع سنة 1204م ونصها كالآتي : " **لا إله إلا الله محمد رسول** ".

ومن العلماء الذين سبق لهم التدريس في جامع سيدي الكتاني نذكر : الشيخ العلامة محمد المكي ، الشيخ عبد القادر المجاوي و الشيخ الطاهر بن زقوطة الخطيب [10].

[9]- كمال غربي : المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011،ص93

[10]- المرجع نفسه ، ص 103

الصورة الحالية الجامع

الصورة القديمة في عهد صالح باي

- **الجامع الكبير في العاصمة :**

يقع الجامع الكبير بشارع البحرية أنشئ في سفح جزائر بني مزغنة تأخر تاريخ إنشاءه إلى سنة 490هـ/1097م أيام المرابطين الذين قال عنهم ابن خلدون " **وجاءت دولة المرابطين ، فجمعت ماكان متفرقا بالمغرب من كلمة المسلمين** " ، فهذا أهم معلم واكب تاريخ المدينة وأكثر استرجاعا لذاكرتها العميقة ، أسماه العثمانيون الجامع الأعظم

فهو موجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي شكله متوازي الأضلاع تقريبا مساحته 2000 متر مربع عرضه 4630م و3820م طولا. [11]

الجامع الكبير في العهد العثماني

الجامع الكبير حاليا

[11]- سعاد فويال : مرجع سابق ، ص 41-45

1-6 المساجد المندثرة :

-**جامع سيدي عمر الوزان** : كان يقع برحبة الجمال حيث المسرح البلدي حاليا والساحة الواقعة خلفه ، ففي السنوات الأولى من الإحتلال الفرنسي قررت السلطة المحتلة إزالة الجامع لإقامة منشآت على أنقاضه ونقلت رفاة عمر الوزان إلى جامع سيدي عبد الرحمان.

-**جامع رحبة الصوف** : وهو من أقدم المساجد ، أسسه الباي رجب الذي حكم مابين 1666-1673م ، موقعه شرقي رحبة الصوف وفي أيام الإحتلال الفرنسي حولته السلطة الاستعمارية إلى مستشفى عسكري .

وأمثلة المساجد المندثرة كثير نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر **جامع سيدي علي الطبي ، جامع سيدي الشاذلي ، جامع سيدي بوشداد ، جامع سيدي الهواري ، جامع سيدي نقاش ، جامع سيدجي عبد القادر**[12].

لقد اشتهرت مساجد الجزائر بدورها ووزنها في المجتمع فقد شاركت وساهمت في نهضة الثقافة وتطوير العلوم وتخرج العلماء ، فكانت حقا مركزا إشعاعيا ثقافيا ساهمت في ازدهار الحركة التعليمية وكانت قبلة لطلبة العلم و العلماء ، كما لعبت دورا مزدوجا من ناحية التعليم و من ناحية الدين ، ولا ننسى كذلك تطور عمران المساجد عبر السنوات .

2- الزوايا :

تعريف الزوايا :

لغة : الزوايا جمع زاوية يقال زويت الشيء أي جمعته أو قبضته [13]أو بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة هم المتصوفة و المرابطين

[12]- كمال غربي : مرجع سابق ، ص 148
[13]- عبد الله رزوقي : الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية و الأدبية ، دكتوراء ، جامعة ورقلة ، 2016-2017، ص 114

إختاروا الإنزواء بمكانها و الإبتعاد عن صخب العمران و ضجيجه طلبا للهدوء و السكون اللذين يساعدان على التأمل و يناسبان جو الذكر و العبادة [14]

والزاوية هي في الأصل ركن البناء وكانت تطلق على صومعة الراهب المسيحي ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في الشرق ذلك أنهم يفرقون بينها وبين المسجد.[15]

اصطلاحا: كثرت تعاريف الزاويم من أهمها :

عرف ابن مرزوق الخطيب الزاوية على أنها " ابلمواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين "[16]

ويرى تركي رابح أن الزاوية هي مدرسة دينية ودار لضيافة الأغراب وتعتبر مركزا لمشايخ الصوفية مخصصة للعلم و الثقافة العربية الإسلامية في مراحل الدراسة [17].

فالزاوية ركن من أركان المسجد إتخدت للعبادة و الإعتكاف و التعبد ، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل بالدين من العلوم النقلية والعقلية كما يعقد فيها مشايخ الصوفية حلقات الذكر .[18]

ويذهب أبو القاسم سعد الله إلى أبعد من ذلك في تعريفه للزوايا عند يقول : الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونواد اجتماعية وخلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم

[14]- صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر ، دار البصائر ، 2001 ، ص 203
[15]-ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، ج18، دار صادر للنشر ، ط6 ، بيروت ، 1997 ، ص 85
[16]- ابن مرزوق الحطيب : المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن ، تق محمود بوعياد ، الجزائر ، 1981، ص413
[17]- رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931-1956 ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981 ، ص 237
[18]- الطيب العماري :الزوايا و الطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي –دراسة أنتروبولوجية- مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، ع15 ، بسكرة ،جوان 2014 ، ص 127-128

وتعاليم شريعتهم وفيها يتلقون مختلف العلوم و المعارف ويقيمون العلاقات الإجتماعية و العسكرية و السياسية[19] .

2-1 نشأة الزوايا وتطورها :

لقد ارتبط ذكر الأولياء و المتصوفة في المصادر التاريخية ، وبخاصة كتب المناقب عدة منشآت تمثلت في الرباط و الرابطة و الزاوية مع أن الزاوية لم تظهر في تاريخ التصوف كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط و الرابطة [20]

تعتبر الزوايا تطورا للربط من حيث أن كلاهما مأوى لإقامة الزهاد و المتعبدين وإطعام الفقراء، ولكن بتوزيع جغرافي مغاير لما كان عليه نظام الربط التي كان أغلبها على الحدود و المراكز الساحلية ، بينما انتشرت الزوايا داخل المدن ، كما أن الزوايا أصبحت تحتضن خلايا اجتماعية دينية لها نفس الأهداف ولكن لكل منها ظقوسها وطريقتها في الذكر [21].

أما في المغرب الإسلامي فقد عرفت الزاوية تطورا بداية من القرن 13 الميلادي حيث أنشأت الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها ، وتصديها للغزاة على مر العصور فبدءوا بالبرتغاليين ثم الإسبان ومن بعدهم الفرنسيين و الإيطاليين ، وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة

إن أقدم المنشآت التي أطلق عليها مصطلح الزاوية في المغرب الإسلامي كانت بالمغرب الأقصى التي ظهرت على عهد الشيخ أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري المتوفى

---

[19]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 18

[20]- الرباط : مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان وجمعها ربط ، ويعني الإقامة على جهاد العدوفي الحرب وارتباط الخيل وإعدادها ، ويعني كذلك المكان الذي يرابط فيه الجيش ، وأصل الرباط أن يرابط الفريقان في ثغر كل منهما معد لصاحبه ، ثم سمي المقام في الثغور رباطا ، والمرابط أو الرابط هو الزاهد الذي نزه نفسه عن الدنيا ، والرباط من حيث المدلول المعماري الإسلامي هو بناء حربي يمثل حصنا من الحصون يقام عند الساحل أو شاطئ نهر قصد الدفاع عن الثغور أو الحدود ، وقد انتشرت هذه الربط منذ الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا .ينظر : محمد حجي : نظرات في النوازل الفقهية ، القاهرة ، ص 100

[21]- الطيب العماري ، مرجع سابق ، ص 129

سنة631هـ/1234م وانتشرت على طول الطريق البري الموصل إلى الشرق فيما بين المغرب ومصر لإيواء الحجاج في سفرهم [22].

لقد نشأ نظام الزوايا بالمغرب الكبير بعد القرن الخامس الهجري إذ سميت في بداية الأمر بدار الكرامة كالتي بناها الخليفة يعقوب المنصور الموحديفي أواخر القرن السادس الهجري الموافق ل12 الميلادي بمراكش ثم أطلق المرينيون على الزوايا التي بنوها في عهدهم في القرن 7-8 هـ الموافقل 13-14م إسم دار الضيف ، ومن ذلك الزوايا العظيمة التي بناها السلطان أبو عنان المريني خارج مدينة سلا في منتصف القرن 8هـ وزاوية سلا في نفس التاريخ قرب مدينة الرباط التي دفن أبو العنان والده أبو الحسن فيها وزارها لسان الدين بن الخطيب وخطب فيها خطبته الشهيرة في تاريخ الأدب العربي [23].

2-2 أنواع الزوايا :

إن تعدد الزوايا في الجزائر سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاث أنواع من الزوايا هي :

-**زوايا المشايخ** : وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة ، ويعرف بشيخ الطريقة وهو الذي يعطي الأوراد أي الميثاق ، هذا الشيخ له أتباع ومريدون يسمون الإخوان ، حيث تقوم الزاوية على أكتاف هؤلاء المريدين المحسنين فهم الذين يولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والتبرعات والصدقات من الشعب .

الشيخ هو المشرف و المسؤول المباشر على زاويته وهو صاحب الحل و العقد وهو الذي يعين المعلم ويعزله حين يشاء وكذلك يحدد المواد التي تدرس للطلبة ، فإذا مات الشيخ إستخلف

[22]- طيب جاب الله : دور الطرق الصوفية و الزوايا في المجتمع الجزائري ، مجلة المعارف ، جامعة البويرة ، ع14 ، أكتوبر 2013 ، ص 136
[23]- يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ، ج2 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009، ص 214

بأحد أفراد عائلته أخيه أو إبنه ، ومن هذا النوع الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار[24] .

-**زوايا المرابطين** : وهي ملكية جماعية يؤسسها جماعة من المرابطين ويسيرونها فيما بينهم، مواردها تتمثل صدقات المحسنين و النذر والهبات والزيارات والحبوس وتنفق على طلبة العلم و الإخوان ، ينتشر هذا النوع من الزوايا في بلاد الزواوة بمنطقة القبائل [25] .

-**زوايا الطلبة** : هذا النموذج الوحيد من الزوايا نجده في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو أسست عام 1635 ، يسيرها الطلبة بحرية تامة واستقلالية في تسير شؤونهم وتدبيرها ويسهرون على وضع نظامهم الداخلي وعلاقاتهم الخارجية [26].

كما تنقسم الزوايا حسب التسمية إلى ثلاث أنواع:

-زوايا تنسب إلى شخص ميت تقدره الناحية عادة ما يكون شيخ الطريقة

-زوايا تنسب إلى الطريقة الصوفية

-زوايا تنسب إلى مكان وجودها وهي ما تعرف بالزاوية المطلقة [27].

2-3 مكانة ودور الزوايا :

- **الدور الديني** : والمتمثل في تحفيظ القرآن الكريم ، ونشر الإسلام وزرع الثقافة الروحية في الشعب عامة[28] .

[24]- عطية شطة : البعدج التربوي و الروحي للزوايا ، ماجستير في علم الإجتماع التربوي ، جامعة الجزائر 2، 2007-2008، ص65
[25]- المرجع نفسه ، ص 67
[26]- محمد نسيب : زوايا العلم و القرآن في الجزائر ، مطبعة النخلة ، الجزائر ، 1989 ، ص 31
[27]- المرجع نفسه ، ص 32
[28]- يسلي مقران : الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945 ، دار الأمل ، الجزائر ، 2007 ، ص 98

- **الدور التعليمي و الإجتماعي :** كانت الزوايا تقوم بوظائف تعليمية واجتماعية فقد كانت تقدم دروسا في مختلف العلوم الدينية و البلغوية و الأدبية ، حيث برز العديد من العلماء في جميع الميادين ، واعتبرت بعض الزوايا مدارس حقيقية كما اعتبر البعض الآخر الزاوية كنقطة انتقالية يتأهل الطلبة النجباء منها نحو جامع الأزهر وجامع القرووين أو الزيتونة ، ومن بين العلوم التي كانت تدرس بها القراءات و التفسير و الحديث والتوحيد والفقه و الأصول و البلاغة و الأدب وغيرها من العلوم [29]

تعد الزوايا كذلك مؤسسات اجتماعية قدمت للمجتمع خدمات جليلة ، ولربما سبقت الزوايا كل العالم في مجال الخدمة الاجتماعية في العلم والتربية والإيواء و التأهيل المهني والاجتماعي والرعاية النفسية ، فقد كانت مفتوحة لكل فئات المجتمع دون استثناء وملاذا آمنا في وقت الكوارث و الأزمات الاجتماعية [30].

-**الدور السياسي :** راهنت الزوايا على مفهوم الجهاد و الموت من أجل حماية الوطن خاصة في الفترة الصعبة التي مر بها المغرب الإسلامي فترة المنافسة الدول الأوروبية حول المستعمرات في إفريقيا ، وبهذا قامت الزوايا بمحاربة الإستعمار منذ دخوله إلى أرض الجزائر ، فقد شكلت الزوايا حصون للمجاهدين ، فكان لها دور الريادة في التوعية و التثقيف رغم اختلاف انتمائية من سنوسية ، قادرية ، رحمانية إلا أنها تمتعت بروح الوحدة [31].

2-4 نماذج عن بعض الزوايا في الجزائر :

الزاوية التيجانية : تقع الزاوية التيجانية بمدينة عين ماضي والتي تبعد عن الأغواط بحوالي 75كم ، يعتمد سكان المنطقة على مستوى معيشي بسيط ، وقد برزت فيهم أسرة الشيخ سيدي أحمد التيجاني ، إن الزاوية عند التيجانيين في الأصل هي بيت الخليفة الذي يعيش

[29]- كمال غربي ، مرجع سابق ، ص 160-161
[30]- دارم الشيخ : النظم التعليمية في الزوايا – زاوية الهامل انموذجا- ، ماجستير ، جامعة سطيف ، 2013-2014 ، ص 81-82
[31]- كمال بوشامة : الجزائر أرض عقيدة و ثقافة ، تر محمد المغاربي ، دار هومة ، الجزائر ، 2007-2008 ، ص 134

فيه ويشرف من خلالها على إدارة وشؤون الزاوية وفي الغالب نجد بيتا بسيطا به ساحة كبيرة لاستقبال الضيوف بغرفة الضيافة حيث يقدم لكل زائر الأكل و الشرب حتى يستقبله شيخ الزاوية ويقضي حاجته [32].

صور للزاوية التيجانية بعين ماضي – الأغواط–

[32]-بن لياء الغالي : الزوايا في الغرب الجزائري – التيجانية و العلوية و القادرية –دكتوراء ، جامعة أبو بكر بلقايد ، 2009-2010 ، ص34-37

-**زاوية الجامع الكبير** : كان لها مسجد صغير دون منارة للصلاة يصلي فيها الطلبة والساكنون بها ، كانت ملجأ للفقراء ، تم بناء الزاوية في 1038هـ/1629م بأمر من الشيخ سعيد قدورة عالم الجزائر ومفتيحا الذي توارد أبناؤه التدريس في الجامع [33].

-**زاوية القاضي** : تقع في شارع باب عزون زنقة كوربو ، القاضي يقصد به القاضي المالكي ، كانت مسكن للطلبة في العهد العثماني ، تأسست سنة 1175هـ-1762 وقد هدمت مثلما حدث لمسجد القاضي و الشماعين [34].

-**زاوية عبد الرحمان الثعالبي** : تنتسب إلى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر تحتوي الزاوية على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة الزوايا ، أما المحراب فهو مزين بالزخارف المستوردة من آسيا الصغرى وبجانبه سريتان صغيرتان من رخام وعدة بيوت ومرافق [35].

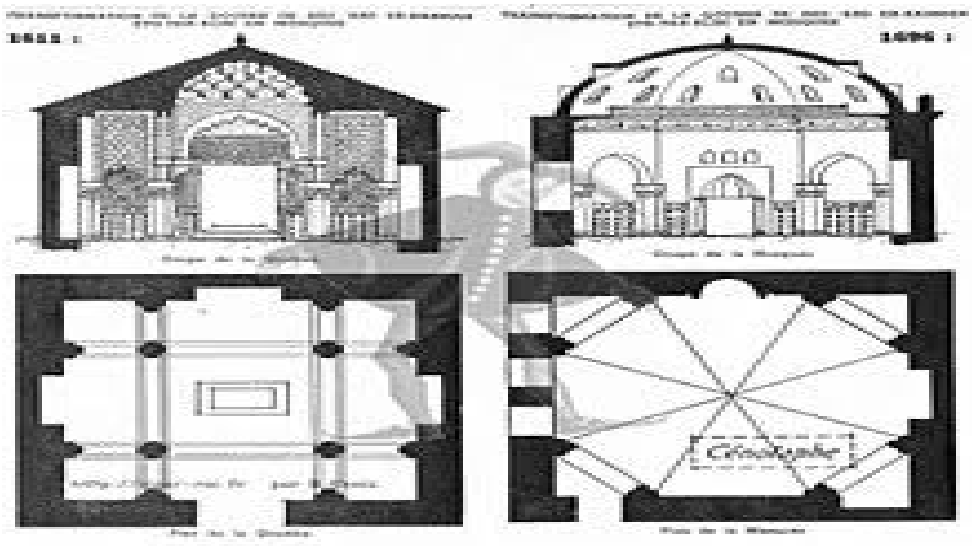

[33]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1998 ، ص 112

[34]- مصطفى ابن حموش : مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني ، ط10 ، دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 31

[35]- منصور درقاوي : الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16و19م من التأثير و التأثر ، ماجستير ، جامعة أحمد بن بلة وهران ، 2014-2015 ، ص 129-130

مخطط تصميمي لزاوية عبد الرحمان الثعالبي

زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي

ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي

-**زاوية سيدي عبد المؤمن** : تقع بشارع ملاح السعيد كانت تنفتح على سويقة باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية التي كانت بالمدينة خلال العهد العثماني والرابط بين باب الجابية و باب القنطرة ، تنتسب هذه الزاوية إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشتغل شيخ الإسلام منذ

العهد العثماني ، بنيت الزاوية وسط مجموعة من البنايات و تعتبر من الزوايا التي تعرضت للتهديم و الإهمال[36] .

صورة توضح تقديم الدروس للطلبة في الزوايا

3- الأوقاف في الجزائر في العهد العثماني :

تعريف الوقف :

لغة : الوقف في اللغة مصدر لفعل وقف يقف وقوفا ، وجمعه أوقاف ويطلق لفظ الوقف في اللغة سوار من العاج [37].

يقال وقفت كذا ، أي حبسته وهو بمعنى الحبس و المنع ، وفي لسان العرب يقال حبس أحبس ، حبسا وأحبست تعني وقفت [38]، وقد جاء في مقاييس اللغة الواو والقاف و الفاء أصل واحد يدل على تمكن في الشيء ثم يقاس عليه ومنه وقفت الدابة ووقفت الكلمة وقفا وهذا متعمد فإن كان لزوما قلت وقفت وقوفا[39] .

[36]- فهيمة أعراب : الثرات و السياحة من خلال قسنطينة ، ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010-2011 ، ص 174
[37]- السيد سابق : فقه السنة ، ط1 ، دار الإعلام العربي ، مصر ، 2004، ص 106
[38]- ابن منظور : مصدر سابق ، ص 969
[39]- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ج6 ، ص135

اصطلاحا : إن هذا التعريف أقرب التعريفات لمعنى الوقف لأنه مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وسلم أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى الرسول صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال يارسول الله أني أصبت أرضا بخيبر ولم أصب مالا قط فما تأمر به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فتصدق عمر في الفقراء وفي القريب وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف فلا جناح عن من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متولى فيه [40].

3-1-تعريف الوقف عند المالكية : هو حبس العين عن التصرفات التمليكية مع بقائها على ملك الواقف والتبرع اللازم بربعها على جهة من جهات البر ، كما عرف المالكية الوقف على أنه التصدق بانتفاع بالشيء مدة وجوده فالمالكية يجعلون الوقف عقد تصرف لازم لا يجوز الرجوع فيه ولا التصرف فيه بأي نوع من أنواع التصرفات التاقلة للملكية ، وتبقى العين الموقوفة على ملك الواقف مع منعه من التصرف بالبيع وإذا مات لا تورث عنه ويجيزون الوقف مؤقتا كما يجيزونه مؤبدا[41] .

3-2 تعريف الوقف عند الحنفية : هو حبس العين على الملك الواقف و التصرف بنفقتها على جهة من جهات البر في الحال أو في المال ، فالواقف عندهم لا يخرج المال المحبس عن ملك واقفة بل يبقى على ملكه يجوز له التصرف فيه بكل أنواع التصرفات وإن مات ينتقل إلى ورثته من بعده ، حيث كل ما يترتب عن الوقف هو التبرع بالمنفعة ويجوز الرجوع عنه في كل وقت وبقوله حبس العين على حكم الملك الواقف والتصدق بالمنفعة على جهات الخير[42]

3-3 أركان الوقف و أنواعه :

أركان الوقف : إن العقود التي يبرمها الإنسان والتي يترتب عليها أحكام شرعية إما أن تكون ذات طرفين كالبيع و الشراء و الإجازة وهذه العقود تتوقف على تبادل الإرادة بين المتعاقدين بالإيجاب و القبول وإما أن تكون وحيدة الطرف و الوقف يعتبر واحد من هذه العقود الوحيدة وبهذا فإن الوقف كسائر التزامات العقود وتتمثل في :

[40]- ناصر الدين سعيدوني : دراسات تاريخية في الملكية و الوقف والجباية الفترة الحديثة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001 ، ص229
[41]- صادق عبد الرحمان الفرياني : مدونة الفقه المالكي وأدلته ، ج4 مؤسسة الريان للطباعة و النشر ، بيروت ، 2002 ، ص 209
[42]- بوسعيد عبد الرحمن : الأوقاف و التنمية الإجتماعية و الاقتصادية بالجزائر ، ماجستير ، جامعة وهران ، 2012 2013 ، ص 5

صيغة العقد : هو عقد الوقف الذي يثبت بموجبه الوقف و يحمل جميع الشروط للوقف بمعنى أن الصيغة هي كل ما بدل على تحبيس العين ولا يحتاج إلى قبول الموقوف عليهم خاصة إن كان الموقوف عليهم جهة خير كالمسجد وقد يكون أشخاصا غير معينين فقراء ومساكين [43]

الواقف : هو صاحب الشيء المراد وقفه

الموقوف : وهو الشيء المراد وقفه " العين المحبوسة" من أراضي زراعية وعقار ...الخ

الموقوف عليه : وهو الجهة المستفيدة من الوقف

أنواعه : ينقسم الوقف باعتبار الجهة الأولى التي وقف عليها إلى عدة أنواع هي :

الوقف خيري – العام –: هو الذي يقصد به الواقف التصدي على وجه البر سواء أكان على أشخاص معينين أو كان على جهة من جهات البر ويعتبر هذا الوقف هو النوع السائد الذي حصل من الصحابة رضوان الله عليهم [44].

الوقف الأهلي – الخاص –: هو الوقف الذي يكون ابتداءا على نفس الواقف أو ذريته أو عليهما أو على شخص معين ثم من بعدهم إلى إحدى جهات البر.

الوقف المشترك: هو الذي يجمع بين الوقف الأهلي و الذري ثم ابتداءا على الذرية وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد حيث يجعل فيه الواقف نصيبا من العين الموقوفة محددا أو مطلقة و الباقي للذرية و البر[45] .

3-4 أهداف الوقف ودوافعه:

الهدف العام : إن الوقف يحفظ لكثير من الجهات العامة حياتها ، حيث أنه يضمن لقمة العيش لكثير من طبقات الأمة ، فهو يمتاز عن غيره من أوجه البر بالاستمرارية و الديمومة كما أن أغراض الخير فيه شاملة وواسعة .[46]

الهدف الخاص : توجد هناك العديد من الدوافع التي تدفع الانسان للقيام بأعمال الخير منها:

---

[43]- وهبة الرخيلي : الوصايا و الوقف في الفقه الاسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، 1993 ، ص 109

[44]- محمد ابراهيم نقاسي : الصكوك الوقفية ودورها في التنمية الاقتصادية من خلال تمويل برامج التأهيل وأصحاب المهن و الحرف ، المؤتمر الاسلامي للنمو المستدام و التنمية الاقتصادية الشاملة من المنظور الاسلامي ، قطر ، 2011 ، ص 9

[45]- خالدي خديجة : دور المؤسسة الوقفية في تحقيق التكافل الاجتماعي ، مجلة كلية العلوم الاقتصادية و التسير ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2006، ص 289

[46]- عبد الله بن ناصر السدحان : توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع ، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف الصيغ التنموية و الرؤى المستقبلية ، 2006، ص 13

الدوافع الاجتماعية : التي تكون نتيجة الشعور بالمسؤولية تجاه الجماعة ، الأمر الذي يدفعه إلى تخصيص شيء من أمواله لتستفيد منه جهة معينة .

الدوافع العائلية : حيث يدفع الواقف الرغبة في تأمين مورد ثابت للعائلة يكون ضمانا لمستقبلهم في حالة الحاجة و العوز فهو يغلب العاطفة النسبية على أي مصلحة شخصية .

دوافع أخرى : كالدافع الديني من أجل نيل ثواب الآخرة و الدافع الغريزي و المتمثل في الرغبة في المحافظة على ما تركه الآباء و الأجداد من الإسراف وذلك من خلال حبس العين عن التملك و التمليك وإباحة المنفعة و الذي لا يكون إلا في معنى الوقف [47].

3-5 إسهامات الوقف :

لقد ساهمت العديد من الجهات في الوقف نذكر منها :

إسهام الحكام : أسهم العديد من الدايات و البايات في الوقف اسهاما كبيرا من خلال إنشاء العيون و المساجد (الجامع الأعظم) و مؤسسة الحرمين الشريفين ، ففي سنة 1121هـ/ 1709م قام الداي محمد بقطاش(1705-1707) بتأسيس زاوية الأشراف [48]

وكان أول من أوقف من الحكام العثمانيين هو أول بيلرباي على الجزائر خير الدين بربروس الذي قام باعتقاق خادمه صفر بن عبد الله وبنى جامعا سماه على إسمه ويعرف حاليا باسم جامع السفير ،و أوقف عليه اكثر من 100 هكتار من الأراضي [49]

[47]- المرجع نفسه ، ص 13-14

[48]- نصر الدين سعيدوني : دراسات في الملكية العقارية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 85

[49]- عبد القادر دحدوح : مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، دكتوراء ، معهد الآثار جامعة الجزائر 2 ، 2009-2010 ، ص 133

وفي مدينة قسنطينة أوقف صالح باي العديد من العقارات و المباني و الأراضي و والبساتين على جامع سيدي الكتاني و مدرسته و كذلك مدرسة جامع سيدي لخضر 1190-1193هـ/1776-1779م[50] .

إسهام العلماء : من بين العلماء الذين أوقفوا ممتلكاتهم أحمد بن المرحوم محمد المبارك الفقيه الذي حبس الدار الموجودة بكوشة علي و كذلك أحمد الزروق الذي حبس البساتين بمنطقة بوزريعة [51]

إسهام الجيش:

لقد اهتم العسكريون بالوقف وأسهم العديد منهم فيه باختلاف رتبهم من الأعلى إلى الأدنى

3-6 المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال العهد العثماني :

مؤسسة الحرمين الشريفين : يعود تأسيس الأوقلف لصالح الحرمين الشريفين في الجزائر إلى العهد الإسلامي الأول ، حيث لا تعرف أهميتها ولا كيفية تسييرها وإذا كنا نفتقر إلى معطيات دقيقة حول الأوقاف التي خصصت في الجزائر للحرمين الشريفين في الفترة السابقة للوجود العثماني ، فإنه من المؤكد أنها وجدت ، ولكن تكاثرت بشكل كبير خلال العهد العثماني وأصبحت إحدى المؤسسات الهامة من حيث اسهامها في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية [52]

إن أموال أوقاف الحرمين الشريفين كانت توجه إلى فقراء مكة و المدينة في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة بواسطة أمير ركب الحجاز [53]ولضمان وصول المداخيل إلى الحرمين الشريفين وجدت قوائم مفصلة لأنواعها ترسل باسم داي الجزائر وتختم بختم الحرمين دلالة على وصولها كاملة بعد عودة وفد الحجيج إلى الجزائر العثمانية ، وكذلك تقدم الإعانات و المساعدات لأهالي الحرمين المقيمين بالجزائر أو المارين بها بعد التأكد من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة [54]

---

[50]- المرجع نفسه ، ص 138

[51]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص392

[52]- عائشة غطاس : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، 2007، ص 242

[53]- نصر الدين سعيدوني : دراسات تاريخية ..مرجع سابق ، ص 240

[54]- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي ، دار هومة ، الجزائر ، 2005، ص 56

كانت أوقافها تتراوح مابين 1357 و1558 ملكية عقارية حسب ما أورده دوفو اعتمادا على سجلات الأوقاف والذي نلخصه في الجدول التالي[55] :

نوع الملكية	عددها	قيمتها بالفرنك الفرنسي
المنازل	840	26653.80 ف
الدكاكين	258	4278.60 ف
المخازن	33	449.7.0 ف
الأفران	11	102.60 ف
الطاحونات	6	97.50 ف
الفنادق	1	13د5.70 ف
المقاهي	4	846.65 ف

مؤسسة سبل الخيرات الحنفية :

لقد اكتسبت هذه المؤسسة أهمية خاصة في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني منذ تأسيسها والذي يرجعه بعض المؤرخين إلى عام 999هـ/1584م وهناك من يرجعه إلى 1590م [56].

تعود تسميتها إلى أوقاف الأحناف بسبل الخيرات لتقوم بإدارة المساجد و الأوقاف الحنفية ، مؤسسها هو شعبان خوجة ، تحتل المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين من حيث وفرة مداخيلها ،[57] ونظرا لانتمائها إلى المذهب الحنفي ونعني بذلك الطائفة التركية و جماعة الكراغلة التي كانت توقف أملاكها لفائدة المساجد الحنفية [58] كانت تشرف على العديد من

[55]- نصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص 239

[56]- عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، ط7 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994، ص 24

[57]- مصطفى حموش : مساجد مدينة الجزائر وزواياها و أضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوكس والوثائق العثمانية ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010، ص 16

[58]- ناصر زكية زهرة : الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر ، مجلة دراسات انسانية ، جامعة الجزائر ، 2001 ، ص 152

المساجد مثل جامع صفر و جامع السيدة وجامع شعبان خوجة وجامع كتشاوة ، حيث بلغ عدد المساجد التي تشرف عليها ثمانية[59] .

مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر :

بلغ مجموع مساجد مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني ما يناهز 106 مسجدا و يعتبر الجامع الأعظم أقدمها وأشهرها وهو في حد ذاته إحدى كبريات المؤسسات الوقفية الجزائرية العثمانية .[60]

لعبت هذه المؤسسة دورا هاما في مختلف المجالات منها الحفاظ على الجامع الأعظم كمعلم وتأدية وظائفه الثقافية و الدينية والاجتماعية حيث استعملت أموال الأوقاف لترميمه والحفاظ عليه ، وكانت عملية الترميم تتم عموما مرة في السنة بصفة مستمرة ، كما اهتم القائمون عليه بنظافته وترتيبه من الداخل و الخارج ليكون مناسبا للمصليين وتعطيره كما سهر القائمون عليه كذلك على توفير حتى الكماليات لقارئي الأحزاب و الطلاب و المصليين خصوصا خلال شهر رمضان ، وفي المجال الثقافي كان يؤدي 19 أستاذ وظيفتهم في تعليم الطلبة وتنويرهم وكانت اجورهم تقتطع من عوائد الأوقاف ولوفرة هذه العوائد تمكن المشرفون من إنشاء زاوية تابعة للجامع وذلك على عهد المفتي سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم سنة 1039هـ/1629م .[61]

مؤسسة أوقاف بيت المال :

تعتبر هذه المؤسسة من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية في الجزائر والتي تدعمت في العهد العثماني ، وهي مؤسسة ذات وظيفة رسمية وطبيعة اجتماعية خيرية فكانت تتولى إعانة أبناء السبيل و اليتامى و الفقراء و المساكين و الأسرى ، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة[62] .

كانت هذه المؤسسة بدورها توزع ما تتلقاه من صدقات وماتديره الأوقاف من مداخيل المسافرين في حالة الضرورة ، كما تنفق في سبيل الرقيق كما كانت تتصرف في الغنائم التي تعود للدولة

---

[59]- نصر الدين سعيدوني : الوقف في الجزائر ...مرجع سابق ، ص 92

[60]- عائشة غطاس : مرجع سابق ، ص 250

[61]- نصر الدين سعيدوني : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 2000، ص 187

[62]- خير الدين بن مشرنن : إدارة الوقف في القانون الجزائري ، ماجستير في القانون ، جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان- ، 2012-2013، ص 88

، يشرف على هذه المؤسسة أمين يسمى يبت المالجي وأمانة بيت المال وظيفة رسمية إذا قيست بوظيفة الوكلاء لذلككان الباشا يعين أحد القضاة ليساعد أمين بيت المال في إدارة المؤسسة [63].

مؤسسة أوقاف أهل الأندلس :

ظهرت هذه الأوقاف بفحص مدينة الجزائر مع توافد عدد كبير من مهاجري عرب الأندلس وامتلاكهم الأراضي الزراعية بها [64].

اتخد الأندلسيون في مدن أيالة الجزائر مقرا لهم وتركوا لها بصمات ظاهرة أينما حلوا فيها ، فأحيوا مدينة شرشال وعمروا كل من القليعة و البليدة وزودوا مدينة الجزائر بالمياه في حين لم تكن تعتمد إلا على الآبار و الصهاريج [65].

إضافة إلى هذا النشاط الحضاري فقد بادر الأندلوسيون من أغنياء الجالية الذين تبرعوا بأملاكهم لإخوانهم الفقراء منذ بداية الهجرات الأندلوسية إلى السواحل الجزائرية ، إثر سقوط حواضر الأندلس وإصدار قرار الطرد الجماعي 1016هـ-1609م [66]

لقد تم إحصاء 42 عقدا باسم هذه المؤسسة مع ملاحظة أنه كان يوجد أوقاف مشتركة بين هذه المؤسسة ومؤسسة الحرمين الشريفين ولا سيما في مجال أصناف الحوانيت و أجزائها وأحيانا المخازن [67].

مؤسسة أوقاف الجند و الثكنات :

أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المعوزين من الجند وصيانة بعض الثكنات و الحصون و الأبراج ، فضلا عن العديد من المرافق العامة كالطرق والعيون و السواقي ، كل هذه المرافق كانت تخص بالعديد من الأوقاف وخصص كل هذه المرافق

---

[63]- خير الدين موسى قنطاري : عقود التبرع الواردة على الملكية العقارية للوقف ، ج1، ط1، دار زهران للنشر و التوزيع ، عمان ، 2012، ص 135

[64]- خير الدين بن مشرنن: نرجع سابق ، ص 89

[65]- عبد الرحمن بوسعيد : الأوقاف و التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر ، ماجستير ، جامعة وهران ، 2012،ص43

[66]- مصطفى بن حموش : مساجد مدينة الجزائر ...مرجع سابق ، ص 17

[67]- نصر الدين سعيدوني : الوقف في الجزائر ...مرجع سابق ، ص 42

العامة وكيل خاص يرعى أوقافها ويتعهد بشؤونها مثل وكيل العيون و السواقي الذي كان مدخوله من الأوقاف التي يشرف عليها يبلغ 150ألف في السنوات الأولى من الإحتلال [68].

أوقاف الزوايا و الأضرحة :

تولت الزوايا عبئا كبيرا كان من اختصاص الدولة حيث كان أغلب الأراضي بضواحي المدن موقوفة وقفا خيريا ومخصصة أساسا للإنفاق على الزوايا و المساجد و الأضرحة ، كما كان أتباع الزوايا يقومون بتوفير حاجة زواياهم برعاية شيوخها وخدماتهم و التابعين لها كزوارها ، وترتكز هذه الأراضي الموقوفة حول المناطق التي تأثر أهلها بالطرق الدينية و الزوايا [69]

كانت أوقاف المرابطين بمدينة الجزائر تتوزع على تسعة أضرحة[70] من مجموع 19 ضريحا تحضى بشعبية لدى السكان منها 18 ضريحا داخل المدينة وواحد فقط خارجها وهو ضريح سيدي علال الغوت بمنطقة القبائل الكبرى ويأتي ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي في طليعة هذه الأضرحة من حيث كثرة الأوقاف المخصصة له إذ بلغ عددها 269 وقفا منها 13 وقف تؤتى مردودا معتبرا وهذا ما ساعد على توفير مدخول سنوي قدر ب6000 فرنك كان بصرف جزء هام منه على إعانة بعض المحتاجين من سكان الجزائر ، كما يصرف على العاملين بزاوية عبد الرحمان من وكلاء وشواش وأئمة و قراء..الخ[71]

لقد عرفت الأوقاف انتشارا كبيرا في العهد العثماني كما عرفت إقبالا كبيرا وواسعا شمل جميع شرائح المجتمع ، حيث يرجع ذلك إلى اهتمام الحكام و مختلف الفئات الاجتماعية بهذا النظام الخيري .

لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته على الفقراء و المحتاجين كما ساعد الوقف كذلك حكام الجزائر أن يجدوا حلولا ملائمة لتسير بعض المرافق وتوفير الصيانة لها وذلك من خلال عوائده .

---

[68]- مصطفى بن حموش : الوقف وتنمية المدن ...مرجع سابق ، ص 6

[69]- نصر الدين سعيدوني : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ...مرجع سابق ، ص 190

[70]- الضريح هو : مكان يأوي قبر المرابط أو الولي الصالح ويرفق بمسجد ، يتكون عادة من حجرة منخفضة مربعة الشكل تعلوها قبة كما يزين الضريح بزرابي وأعلام متعددة الألوان

[71]- سعدية سرقين : أوقاف الزوايا و الأضرحة –الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007، ص 305

4-المدارس و المعاهد :

تعددت المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني في الجزائر واختلفت أدوارها حسب اختصاص كل واحدة منها ، لكن بمجملها أعطت تلك الصورة البارزة لما عرفه النشاط الثقافي في الجزائر من أهم وأبرز هذه المؤسسات المدارس و المعاهد .

يذكر ابن أبي زرع أن المدارس بدأت في الظهور في بلاد المغرب خلال العهد الموحدي وبالضبط في فترة حكم الخليفة أبي يعقوب يوسف المنصور عام 580-595هـ/1184-1199م حيث يذكر عنه :" ...حصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد و المدارس في بلاد المغرب وإفريقيا و الأندلس ..." [72]

تعريف المدارس :

لغة : من درس يدرس ، درس الشيء بمعنى طحنه وجزءه ، درس جزءه وسهل ويسر تعلمه على أجزائه ، فيقال درس الكتاب يدرسه دراسة بمعنى قراءة وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه والمدرسة مكان الدرس والتعلم ، ويقال هو من مدرسة فلان أي على رأيه ومذهبه [73].

اصطلاحا : تعد إحدى المؤسسات التعليمية والتي تتولى تنشئة الأبناء و العمل على رفع قدراتهم ومهاراتهم في شتى المجالات ، فهي تعمل إلى جانب الأسرة في التنشئة الاجتماعية للفرد و زرع القيم الإنسانية لديه [74].

4-1 المدارس قبل وخلال العهد العثماني :

كانت حركة التعليم و الثقافة في الجزائر قبل دخول العثمانيين تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي مدينة تلمسان ، مدينة بجاية ومدينة قسنطينة ، كانت هذه الحواضر تعد بحق مراكزا للتعليم و الثقافة و الإشعاع الفكري ، فقد ازدهرت فيها العلوم و الآداب و الفنون لعدة قرون .

لقد كان التعليم في الجزائر يتمثل في الكتاتيب و الزوايا و المساجد و المدارس ، كما تأسست في عهد سابق للعثمانيين مدارس حظيت بشهرة كبيرة ، وقد أشار إلى بعضها الرحالة المغاربي الحسن الوزان حيث ذكر أن بتلمسان خمس مدارس حسنة التصميم مزينة بزخارف الفسيفساء

---

[72]- الفردبل : الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، تر عبد الرحمان بدوي ، ط3، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص 351

[73]- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ج1 ، دار الدعوة ، القاهرة ، 2010، ص 281

[74]- فاطمة دخية : الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني ، دكتوراء ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014-2015 ، ص 21

وأنه شاهد في بجاية عددا من آخر من المدارس كما شاهد في قسنطينة مدرستين ، وبالرغم من وجود شبه كبير بين شكل المسجد وشكل المدرسة إلا أنها تتميز بعناصر وملامح خاصة لا يوجد مثلها في المسجد كما أنه لايوجد في المدرسة منارة ولا آذان و لا منبر للخطابة [75].

لقد عرفت المدارس انتشارا واسعا خلال العهد العثماني حيث كانت جل المدن و الأرياف الجزائرية بها مدارس وكان انشاؤها يتم على أيدي المحسنين وتمولها الأوقاف التي كان يحبسها أصحاب النفوس الخيرة والتي تهب عقاراتها لبناء هذه المدارس ولم يكن للدولة العثمانية شأن بها .

يرجع الفضل في انتشار هذه المدارس إلى التقاليد العلمية الموروثة ، هذا وقد تنوعت العلوم و المعارف التي تدرس بتلك المدارس إلى ثلاث أصناف هي :

-**العلوم الدينية** : مثل تحفيظ القرآن الكريم وشرحه ، وتفسير الحديث وتعليم الفقه

-**علوم اللغة و الأدب** : كالنحو، الصرف البلاغة والعروض وقواعد الإنشاء

-**العلوم التطبيقية والتجريبية** : كالفلك والطب والهندسة والحساب

كانت تلك المدارس كلها تتخذ منهجا تعليميا واحدا دون أن تكون لها هيئة مركزية لتوحيد العلم ، كما كان المعلمون و الشيوخ يتنقلون من منطقة إلى أخرى فالذي يعلم في الجزائر نجدهه يعلم في قسنطينة أو وهران[76] .

4-2 وظائف المدارس :

للمدارس وظائف هامة فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط إجتماعي محدد ، كما تقوم بتحفيظ القرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الاسلامية، تعلم مبادئ العلوم والقراءة والكتابة وتقدم رصيدا من المعارف للمتعلم لتساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها [77].

المدارس تعد شعبا متعلما محصنا لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الأميين .

[75]- كمال غربي : المساجد و الزوايا ....مرجع سابق ، ص 192
[76]- فاطمة دخية :المرجع السابق ، ص 22
[77]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، مرجع سابق ، ص 279

4-3 نماذج عن المدارس والمعاهد:

المدرسة الكتانية :

تأسست المدرسة في شهر ذي الحجة من سنة 1202هـ/1787م على يد صالح باي ، سميت بالكتانية نسبة إلى ولي صالح مدفون فيها [78] ، تقع هذه المدرسة بمحاذاة السوق الشعبية المعروفة بسوق الجمعة – سوق العصر حاليا– وجنوب جلمع سيجدي الكتاني [79].لقد خصص لها صالح باي أوقافا كثيرة شملت الأساتذة و الطلبة [80]

كان لها نظام داخلي دقيق يضبط أوقات التدريس وعدد أحزاب القرآن المتلوة كل يوم وشروط الإقامة في المدرسة [81]، كان نظام تسيرها محط إعجاب من الكثير من الأوروبيين [82]

لقد كانت هذه المدرسة تنشر تعليما في المستوى الثانوي و العالي ، اهتمت بتحفيظ القرآن وتفسيره وشرح الحديث و تعليم الفقه و التوحيد إضافة إلى العلوم التجريبية كالحساب و الطب و الهندسة و الفلك و الصيدلة [83].

لقد ساهمت هذه المدرسة في رفع المستوى الفكري لسكان المدينة حيث أن نسبة الأمية كادت تنعدم كما عرفت قسنطينة ازدهارا ثقافيا لم تعرف له نظير خلال العهد العثماني [84].

[78]- محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر بين الماضي و الحاضر تاريخ مدينة قسنطينة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1980، ص 240

[79]- عبد الحليم طاهري : مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة ، ماجستير ، معهد الآثار جامعة الجزائر ، 2009-2008، ص67

[80]- أحمد مريوش وآخرون : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، ص 17

[81]- كمال غربي : مرجع سابق ، ص 194

[82]- محمد السعيد قاصري : المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان ، مجلة عصور الجديدة ، ع18، جامعة وهران ، 2015، ص 158

[83]- أحمد مريوش وآخرون : مرجع سابق ، ص 17

[84]- محمد السعيد قاصري : مرجع سابق ، ص 159

مدرسة سيدي لخضر : سنة 1779 م أي بعد 36 سنة من بناء المجسد الحنفي «سيدي الأخضر»، قام صالح باي بشراء الأراضي المجاورة للمسجد وقام ببناء مدرسة تحمل نفس الاسم، حيث كانت الساحة محاطة بغرف الطلبة، أما قاعة الدراسة فيعلوها قوسين، وتعد هذه المدرسة من أهم انجازات صالح باي إلى جانب مدرسة سيدي الكتاني التي بنيت في نفس الفترة [85].

تشتمل المدرسة مسجدا وخمسة من البيوت منها بيت للمدرس وأربعة للطلبة ومائضة وبيت لوضع الأمتعة ، يقف على المدرسة وكيل مكلف بمداخيلها ومصاريفها وبواب لمباشرة أعمال التنظيف وإيقاض مصابيح بيت الله [86].

مدرسة مازونة :

كان تأسيس المدرسة خلال القرن 11هـ/16م نحو سنة 1029هـ ،على يد الشيخ محمد بن الشارف وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص ، درس بها حوالي 64 سنة وقبره موجود بها عليه قبة تسمى باسمه .[87]

[85]- بلال أرمولي : مدرسة سيدي لخضر أقدم المدارس الجزائر ودورها الإصلاحي ، مجلة الارشاد ، ع4 ، أفريل 2015 https://binbadis.net

[86]- كمال غربي : مرجع سابق ، ص ، 194

[87]- جلول دواجي عبد القادر : مدرسة ماوزنة ودورها التعليمي في العهد العثماني ، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية و الانسانية المعمقة ، جامعة زيان عاشور الجلفة ، ع4 ، ديسمبر 2018، ASJP

يقول محمد أبو راس الجزائري :" لما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها ، سافرت إليها فلقيت في المشي على سفري مشقة لكن ذلك شأن السفر للعلم ..."

من بين علمائها : الشيخ علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الشارف ، الشيخ أبو العباس أحمد بن الهني بن مجمد بن علي ، الشيخ محمد الصادق بن فغول

اختصت مدرسة مازونة بتدريس علوم الدين وعلوم اللغة [88].

كانت لها أهمية كبيرة في النواحي الغربية من البلاد وتقاليد متينة إستمدتها من صلتها بالتعليم بتلمسان و الأندلس و المغرب الأقصى ، تعتبر من أقدم المدارس إستمرت بالخصوص في الفقه والحديث وعلم الكلام وكانت مقصد النواحي الغربية لاسيما مستغانم ، تنس ، تلمسان ووهران [89].

صور لمدرسة مازونة من الداخل و الخارج

[88]-جلول دواجي عبد القادر : المرجع نفسه

[89]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 285

5- الكتاتيب :

الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء موضع تعليم الكتاب والجمع كتاتيب واستعمل ابن سحنون كلمة مكتب عوض لفظ كتاب وهي مراكز صغيرة نسبيا غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم للصبيان وقد تكون ملحقة بمسجد كبير وتحتوي عادة على أربع حجرات واحدة لتعليم الصبيان والثانية لإقامة الطلبة .

والثالثة للصلاة والرابعة للمؤونة والأدوات الضرورية ، ومن الكتاتيب على سبيل المثال كتاب أولاد العباس و الحوانات [90]

تتمثل وظيفة الكتاتيب الأساسية في تحفيظ القرآن للأطفال وترتيله ، كانت تؤسس منفصلة عن المسجد بغرض المحافظة على نظافته ووقاره .[91]

كانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء والكثير منها كان يحمل إسم الحي الواقع فيه وبعضها يحمل إسم الزاوية [92].

الكتاب هو مكان بسيط مفروش بالحصير يجلس فوقه الأطفال والمعلم ، يشتمل على أربع حجرات واحدة لتعليم الصبيان و الثانية لسكن الطلبة والثالثة للصلاة والرابعة للمؤونة ، بالإضافة إلى مرافق أخرى للوقود و الطبخ و الوضوء [93].

---

[90]- مختارية تراري : التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة ،مجلة انسانيات ، ع14-15، 2001 ، ص 60

[91]- أحمد مريوش وآخرون : مرجع سابق ، ص 18

[92]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ..ج1 ، ص 277

[93]- مختارية تراري : مرجع سابق ، ص 61

كان الأطفال يكتبون على ألواح خشبية مطلية بالصلصال وتكتب بأقلام من قصب والصمغ – الحبر– مصنوع من صوف الأغنام المحروقة[94] .

كان وقت التعليم بالكتاتيب يتم صباحا ومساءا ، فالفترة الصباحية تبدأ من 5أو 6 إلى 10 صباحا أما الفترة المسائية فتبدأ من 3 إلى 7 مساءا [95].

والتعليم بالكتاب تعليم أولي حيث ينتقل منه التلاميذ إلى المساجد و الزوايا لإنهاء دراستهم الثانوية ، لقد اكتسب الكتاب اهتمام ورعاية القادة و المفكرين و عناية العلماء العاملين به[96] .

من بين الأمثلة عن الكتاتيب أو المسيدات :

–مسيد بورقعة

–مسيد سيدي بوقدور

–مسيد الحمامات

–مسيد حوانيت سيدي عبد الله

–مسيد الزاوية (زاوية سيدي الشريف الزهار)

–مسيد جامع السفير [97]

6 المعمرات :

هي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن والعلوم عموما انتشرت في البوادي بمنطقة القبائل خاصة بعد الإحتلال الإسباني لها ، وحسب يحي بوعزيز فهي تشبه أحيانل الكتاتيب القرآنية وأحيانا تشبه الزوايا غير الخلواتية .

كانت لها أحباس وقوانين داخلية محكمة وهو الفرق بين الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها وفي حالة حدوث أي خلاف داخلي يتولى قدماء المتخرجين منها مهمة الإصلاح وإرجاع الأمور إلى نصابها فكانت المعمرة تسير ذاتيا وطلبتها ينقسمكون إلى طبقات :

---

[94]- عيسى بن الذيب وآخرون : المراكز و الحواضر الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، مركز البحث و الدراسات في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ص 43-44

[95]- يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ج1، دار الهدى ، الجزائر ، ص 199-200

[96]- عبد الرحمان بن أحمد التيجاني : الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900- 1977، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص17

[97]- يحي بوعزيز : أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين ، مجلة الثقافة ، ع326 ، الجزائر ، 1981 ، ص19

-**القداش :** وهم التلاميذ الصغار

-**الطلبة :** وهم فوق القداش سنا وثقافة

-**المقدمون و الوكلاء و الشيوخ الكبار :** وهي أعلى طبقة مهمتها تسير المؤسسة التي يرأسها شيخ مسن يساعده عدد من كبار الطلبة و المقدمين و الوكلاء بالإضافة إلى مهمة التعليم كانت تأوي المساكين وتقديم المساعدة لهم [98].

تؤدى الصلاة فيها بصورة جماعية كما يتلى القرآن بصفة جماعية كذلك خاصة بعد صلاة العصرو الصبح ويدعونه بالحزب الراتب أي المرتب بصفة دائمة ، من ضمن المعمرات في بلاد القبائل :

-**معمرة سيدي علي بن يحي** في بني كوفي

-**معمرة سيدي علي أو موسى** بالمعاتقة

-**معمرة سيدي عمر الشريف** على ساحل دلس

-**معمرة سيدي منصور** بالعزازقة

-**معمرة الشرفة بهلول** قرب العزازقة

- **معمرة سيدي محمد بن عبد الرحمان** بوقبرين

-**معمرة فريحة** ببني ورتيلان [99]

[98]- رشيدة شدري معمر : المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830 ، مجلة المعارف ، ع20 ، جوان 2016، ص 102

[99]- يحيى بوعزيز : أوضاع المؤسسات الدينية ...مرجع سابق ، ص 20

7 المكتبات :

هي المركز الثقافي و المعلوماتي الذي يعكس ثرات أمة وتطورها العلمي و الأدبي والفني ، يذكر أبو القاسم سعد الله أن الجزائر كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات ، كما أن الكتب كانت تنتج محليا عن طريق التأليف و النسخ ، أو تجلب من الخارج من الحجاز ومصر ، اسطنبول والأندلس ، ويقول أيضا أنه قد يوجد عدد من المكتبات قبل مجيء العثمانيين [100].

فالتمغروطي يذكر أن مدينة الجزائر في القرن 16م كانت غنية بالكتب " الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا " أما حواضر بايلك الغرب اشتهرت بها مكتبات تلمسان معسكر ومازونة ، بما تتضمنه من مخطوطات ومؤلفات وقد وصل عدد المكتبات بها 20 مكتبة ، منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة المحمدية بمعسكر [101] .

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن مدينة قسنطينة التي كانت تعج بالمكتبات التي حوت كتب المشارقة و الأندلوسيين ، إضافة إلى المؤلفات المحلية خاصة في عهد صالح باي الذي وفر الاستقرار وشجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة [102].

ويذكر ابن حمادوش في رحلته عددا من الكتب التي اشتراها ، وهو شأن متولي الجامع الكبير في الجزائر الذي اشترى كتبا وصلت قيمة الكتاب الواحد 600 دينار ذهبا في القرن 17م [103] .

يضيف أبو القاسم سعد الله أن كلا من القضاة و الدراويش عند مجيئهم إلى الجزائر اصطحبوا معهم مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم ، ومن أهم ماجاءوا به كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح بخاري و كتب الأدعية و الأذكار الصوفية .

ومحتوى المكتبات في معظمه عبارة عن رصيد من العلوم الدينية منها التفاسير و الأحاديث الدينية ، فقه الأصول و التوحيد والعلوم اللغوية و العقلية إلى جانب العروض و البلاغة ، أما

---

[100]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، مرجع سابق ، ص 273

[101]- رشيدة شدري معمر : مرجع سابق ، ص 102

[102]- المرجع نفسه ، ص 103

[103]- إبن سحنون : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح و تق البوعبدلي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973 ، ص 58

التاريخ و الجغرافيا و الفلسفة فكانت قليلة أما كتب الحساب و الطب و الفلك فكانت شبه نادرة[104] .

لقد كان في الجزائر نوعان من المكتبات العامة و الخاصة وغالبا ماكانت هذه المكتبات بجوار المسجد أو الزاوية ، فالمكتبات العامة كانت تضم مختلف المخطوطات في شتى العلوم يلجأ إليها الطلبة و الأساتذة من جميع النواحي ، كانت المكتبات ملحقة خاصة بجوامع الخطبة التي كانت تحتوي على خزائن الكتب الموقوفة على الطلبة و العلماء .

أما المكتبات الخاصة فهي مكتبات لم تكن تختلف من حيث وظيفتها مقارنة بالمكتبات العامة فهي خاصة بالمطالعة و البحث ولكن في إطار العائلات العلمية و الأعيان الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها [105].

كعائلة لفكون التي تملك أضخم مكتبة وهي مكتبة حمودة لفكون التي يوجد بها 2500 مجلد فمدينة قسنطينة لوحدها بها 17 مكتبة خاصة أما بايلك الغرب فقد اشتهرت مكتبة أبو راس الناصري [106].

[104]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 274
[105]- المرجع نفسه ، ص 365
[106]- رشيدة شدري معمر : مرجع سابق ، ص 104

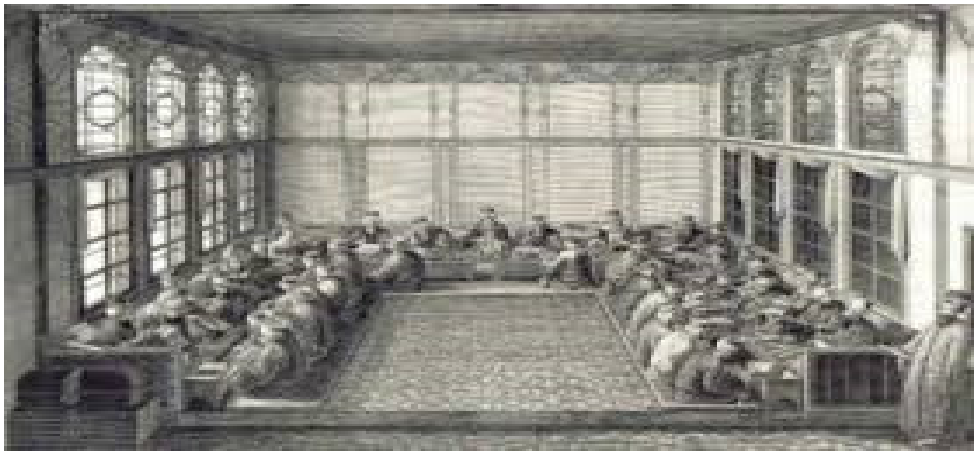

ومن الأمثلة عن المكتبات العامة : مكتبة المدرسة الكتانية ، مكتبة الجامع الكبير ، مكتبة المدرسة المحمدية – معسكر –، مكتبة زاوية الشيخ التازي – وهران– ، مكتبة زاوية القيطنة ، مكتبة مدرسة مازونة ، مكتبة زاوية أقبو ومكتبة زاوية الخنقة .

أما المكتبات الخاصة نذكر منها : مكتبة شيخ العرب لابن الصفري ومكتبة الشيخ محمد بت اسماعيل بتكورارن تحتوي على 1500 مؤلف [107].

[107]- محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكطاشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق وتح محمد بن عبد الكريم ، ط2، الجزائر ، 1981 ، ص 60-63